" ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب " .

" ذلك " مبتدأ " من أنباء القرى نقصه عليك " خبر بعد خبر أي : ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى أي : بعضها باق وبعضها عافي الأثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد . فإن قلت : ما محل هذه الجملة ؟ قلت : هي مستأنفة لا محل لها " وما ظلمناهم " بإهلاكنا إياهم " ولكن ظلموا أنفسهم " بارتكاب ما به أهلكوا " فما أغنت عنهم آلهتهم " فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله " يدعون " يعبدون وهي حكاية حال ماضية . و " لما " منصوب بما أغنت " أمر ربك " عذابه ونقمته " تتبيب " تخسير . يقال تب إذا خسر . وتببه غيره إذا أوقعه في الخسران .

" وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي مظلمة إن أخذه أليم شديد " .

محل الكاف الرفع تقديره : ومثل ذلك الأخذ " أخذ ربك " والنصب فيمن قرأ : وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل . وقرئ : " إذ أخذ القرى " " وهي مظلمة " حال من القرى " أليم شديد " وجيع صعب على المأخوذ . وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه . فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال .

" إن في ذلك لأية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود " .

" ذلك " إشارة إلى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم " لأية لمن خاف " لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو إلا أنموذج مما أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظ ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله تعالى . ونحوه : " إن في ذلك لعبرة لمن يخشى " النازعات : 26 ، " ذلك " إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه . و " الناس " رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس . فإن قلت لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله ؟ قلت : لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكوا منه ونظيره قول المتهدد : إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وإن شئت فوازن بينه وبين قوله :

" يوم يجمعكم ليوم الجمع " التغابن : 9 ، تعثر على صحة ما قلت لك . ومعنى يجمعون له : يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب " يوم مشهود " مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله : .

ويوم شهدناه سليما وعامرا .

أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد . والمراد بالمشهود : الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم : لفلان مجلس مشهود وطعام محضور . قال : .

في محفل من نواصي الناس مشهود .

فإن قلت : فما منعك أن تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال ا تعالى : " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " البقرة : 185 ، ؟ . قلت : الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام فإن جعلته مشهودا في نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا في نفسه ؟ لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله : " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " البقرة : 185 ، الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في " فليصمه " والمعنى : فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني : فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر : " وما نؤخره إلا لأجل معدود " .

الأجل : يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون : انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره ويقولون : حل الأجل " فإذا جاء أجلهم " الأعراف : 34 ، يراد آخر مدة التأجيل والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله : " وما نؤخره إلا لأجل معدود " إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف . وقرئ : " وما يؤخره " بالياء